



## تأملات قرآنية : من نبأ موسى وفرعون

إعداد :

د . أحمد بن عبد الله العماري الزهراني \*

- \* عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقاً - .
- نال درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٣٩٩ هـ بتحقيق كتاب " إعلام العالم بعد رسوخه لناسخ الحديث ومنسوخه " لابن الجوزي .
- نال درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام ١٤٠٤ هـ بتحقيق الجزء الأول من تفسير ابن أبي حاتم .

## الملخص

تعرض هذه المقالة قصة نبي الله موسى — عليه السلام — مع عدو الله المتكبر فرعون، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها في سورة القصص؛ بدءاً من ميلاد موسى بمصر ثم إلقاء أمه له في النهر ووصوله إلى قصر فرعون ثم رجوعه إلى أمه، ونشأته في بيت فرعون إلى بلوغ أشده، وما وقع له من الخطأ الذي كان سبباً في خروجه من المدينة ووروده إلى مدين وزواجه من ابنة شيخ كبير على أن يكون أجيراً عنده بضع سنين ثم تكليم الله له وتكليفه بالرسالة وعودته إلى مصر مؤيداً بالآيات لدعوة فرعون إلى الإيمان بالله وطاعته ثم جحود فرعون بما جاء به موسى وأخوه هارون الذي أرسله الله معه ليشد عضده ثم كانت النهاية بمطاردة فرعون وجنوده لموسى وأتباعه إلى البحر حيث غرق فرعون وجنوده، وضرب موسى بعصاه البحر فصار طريقاً ييساً له ولأتباعه، وبذلك نجاهم الله من القوم الظالمين.

وقد ختمت هذه المقالة باستنباط الدروس والعبر التي تضمنها نبي موسى وفرعون، كما جرت الإشارة إلى كثير منها في أثناء عرض القصة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . أما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على سيد المرسلين، فيه خير من قبلنا، ونبأ من بعدنا، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وكانت نهايته الخذلان والخسران.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ خَلَقَ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ \* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٦٨-٧٠].

لقد أمرنا الله تعالى بتلاوة كتابه وتدبره وفهمه والتفكر فيه، لما لذلك من الآثار في النفس البشرية، من الاستقامة على الصراط المستقيم، والابتعاد عن السوء، أو الأمر به، ولئلا تبقى مترددة فيما تقدم عليه من فعل الخيرات، والبعد عن المنكرات، حتى تكون في حالة اطمئنان، ويقين وخضوع، وخشوع لمن خلق فسوى، وقدر فهدى.

وإن الله تعالى لما خلق الخلق لم يتركهم هملاً ضالين، بل بعث فيهم رسلاً منهم مبشرين ومنذرين، لكي يحققوا الغاية والحكمة من خلقهم، ويحذروهم من اتباع الهوى، والظلم و البغي في الأرض بغير الحق، وقد قام الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بما كلفوا به خير قيام، لكن الناس انقسموا نحوهم قسمين:

قسم اتبعوهم ولزموا هديهم، وساروا على الطريق المستقيم خلفهم، وقسم آخر تنكب السبيل، وحاد عن الهدى، وضل الطريق، وكتب الله عليه الشقاوة في

الدارين، عدلاً منه وحكمة.

ومن أولئك الذين كتب الله عليهم الشقاء طاعيتاً زمامهما، فرعون وهامان، وجنودهما، إنهم كانوا خاطئين.

وإن قصة نبي الله موسى -عليه السلام- مع طاغية زمانه فرعون، قد عرضت في القرآن الكريم في مواضع متعددة، بأساليب متنوعة، فيها من الدروس والعبر، والعظات الشيء الكثير .

وإن عرضها على النفوس لأمر مهم، من بداية الاستضعاف حتى التمكين، ومعرفة ما بين ذلك من أحوال الطرفين المتحاورين، المتجاورين المتباعدين، المختلفين في الرأي والرؤية، والهدف والغاية، والوسيلة والأسلوب، حتى يطمئن أهل الاستضعاف في الأرض - من أهل الخير والصالح -، أن العقوبة لعباد الله المتقين، وأن الله - سبحانه - سيمنُّ عليهم، إذا اخذوا بالأسباب الشرعية، من الصبر على ما يلاقون في الطريق، من المعاناة والعقبات، ومن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلَيْكَ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] .

لقد وعدهم الله على ذلك بالاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ۚ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] .

ولكي يعلموا أن التمكين في الأرض، لا يأتي إلا بعد مفاوز طويلة تقطع

في الطريق، يواجهون من خلالها عقبات، ومصائب متعددة ومتنوعة.

كما أن عرض هذه السيرة — سيرة نبي الله موسى — عليه السلام — مع فرعون طاغية عصره — فيها دعوة لأولئك القوم الذين تكبروا في الأرض بغير حق، وطغوا وتجبروا واستكبروا، وسعوا في الأرض بالفساد، لكي يتفكروا في مصيرهم وعاقبته، فإن أخاهم فرعون ادعى الربوبية والألوهية، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾

[النازعات: ٢٤] . وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وتهدد قومه أن يتخذوا إلها سواه، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فما استطاع أن يكف عن فمه شربة من الماء، وفي ذلك بيان لضعفه، وهوانه على الله تعالى.

فعلى الطغاة الظالمين في كل عصر ومصر، أن يراجعوا حساباتهم، ويعملوا عقولهم، التي وهبهم الله تعالى، وينقذوا أنفسهم من النار، قبل أن يحق عليهم القول فلا يستطيعون لأنفسهم حولاً ولا قوةً، والعاقل من اعتبر واتعظ، ونهى النفس عن الهوى.

وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

والقائل: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَتْ حَدِيثًا يُفْتَرَى

وَلَكِن تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[يوسف: ١١١].

ولما قرأت سورة القصص ذات يوم، تداعت لدي خواطر وتأملات، فأحببت أن أسطر بقلمني ما فتح الله عليّ به من سيرة نبي الله موسى -عليه السلام-

مع ذلك العدو المتكبر "فرعون" - عليه من الله تعالى ما يستحق - تذكرة وعبرة ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

### ١- واقع الناس قبل ميلاد موسى - عليه السلام -

كان في مصر فريقان من الناس، فريق يُسمّون "بني إسرائيل" ومنهم موسى - عليه السلام -، وفريق آخر يُسمّون "القبط" ومنهم فرعون الطاغية. وكان بنو إسرائيل مستضعفين من قبل القبط، حيث كانوا يستخدمونهم في أمور الحياة كلها، استخداماً فيه امتهان واستدلال، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، فقد قال بنو إسرائيل لموسى - عليه السلام - ﴿ قَاتُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

فقولهم ( أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ) دال على عظم ما كانوا يلاقون من الفريق الآخر، وهم القبط، لكن موسى - عليه السلام - بشرهم بهلاك عدوهم، وأن العقابة لهم.

يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى: "وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل كانوا يستخرون في ضرب اللّبن، وكانوا مما حملوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شيء مما يحتاجون إليه فيه، بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه وتبنه وماءه، ويطلب منهم كل يوم قسط معين، إن لم يفعلوه وإلا ضربوا وأهينوا غاية الإهانة، وأوذوا غاية الأذى<sup>(١)</sup>.

ولقد ذكر الله تعالى بعض ذلك الأذى الذي كان يوقعه فرعون على بني

(١) البداية والنهاية (١/٢٦٣) .

إسرائيل من التفرقة والاستضعاف، وقتل الأبناء، واستحياء النساء، في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وقد جاء في حديث "الفتون"<sup>(١)</sup> ما يفسر الدوافع التي دفعت فرعون وقومه الأقباط، إلى التنكيل ببني إسرائيل .

سأل سعيد بن جبير - رحمه الله - ابن عباس - رضي الله عنهما - عن الفتون الواردة في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْثِي أُخْتُكَ فْتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوِسِي﴾ [طه: ٤٠]. فقال ابن عباس:

"تذكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم - عليه السلام - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً. فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد إبراهيم. فقال فرعون: فكيف ترون ؟ فأثمروا وأجمعوا أمرهم، على أن يبعث رجالاً، معهم الشفار، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، قالوا توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاماً كل ذكر فتقل أبنائهم، ودعوا عاماً

(١) حديث الفتون، حديث طويل رواه النسائي في السنن الكبرى، والطبري في تفسيره (١٢٥/١٦) - (١٢٧) وابن أبي حاتم في تفسيره. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٦/٤ - ٣٠١) وذكره ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة طه.

فلا تقتلوا منهم أحداً ، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم يكثرون. بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن تفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم ، فأجمعوا أمرهم على ذلك، فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة، فلما كان من قابل حملت بموسى - عليه السلام - فوقع في قلبها الهم والحزن<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الجو المحموم ولد موسى - عليه السلام -

## ٢- ميلاد موسى - عليه السلام-

ولد موسى - عليه السلام- في جوء مملوء بالرعب والخوف والقتل والتشريد.

ولد في العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر من قبل فرعون الطاغية وقومه الأقباط.

ولد موسى - عليه السلام- في طائفة مستضعفة كل الاستضعاف متفرقة مشتتة ؛ يسومهم فرعون وقومه سوء العذاب، يذبح أبناءهم، ويستحي نساءهم. إنَّ البلاء يقع على الفرد والجماعة، ويتفاوتون في درجاته، لكن الذي وقع على بني إسرائيل كان من أعظم البلاء، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ



يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿[سورة

الأعراف: ١٤١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِكُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦].

ولد موسى - عليه السلام - في بيت امرأة لا تملك حولاً ولا قوة، قلبها يرحف ويتقطع أساً وحسرةً على ولدها الرضيع، أين تخفيه من فرعون وزبانيته؟ أين تذهب به في الأرض وهي امرأة مستضعفة؟

ولد موسى - عليه السلام - وليس له أسرة أو قوم يحمونه من فرعون وجنوده.

ولد موسى - عليه السلام - وهو ضعيف كل الضعف، لا يعرف أباً ولا أمّاً ولا أختاً، ولا قريباً ولا بعيداً، ولا يميناً ولا شمالاً، ولا أكلاً ولا شرباً، وطاغوت عصره يتهدده بالذبح والهلاك.

سبحان الله! فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية، يمتلكه الخوف، والرعب، والخور، من طفل رضيع لا يدري ما الحياة؟ مجرد من كل قوة وحيلة، إلا من قوة فاطر السموات والأرض، الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، الواحد القهار، الملك الجبار، الكبير المتعال، السميع البصير، العزيز الحكيم، اللطيف الخبير، الرحمن الرحيم، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون، مدبر الأمور ومصرفها، بيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير، حفظ عبده، ورعاه وهو في بطن أمه، وهده - بعد خروجه إلى الكون - النجدين، وساق له رزقه وهو لا يشعر، وهياً له من يرعاه، ويدافع عنه، ويتولى شؤونه على مرأى ومسمع من فرعون

وجنوده، وهم لا يشعرون، وتتجلى بعض مظاهر تلك الرعاية لموسى - عليه السلام - في عدة أمور:

أولاً: إلهام أمه إذا خافت عليه من العدوان أن تلقيه في اليوم حتى لا يقع في يد الظلمة - فرعون وجنوده - . قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَّاعِلُوهُ مِّنَ الْأَمْرُسَلِينَ ﴾ [سورة القصص: ٧].

ثانياً: هبأ الله له آل فرعون يلتقطونه من اليم، وينفذونه من الغرق، وهم أعداؤه المتربصون به الخائفون منه العازمون على قتله والتخلص منه. قال تعالى : ﴿ فَالْتَقِطْهُ ۖ إِنَّهُ لَفِرْعَوْنٌ لِّيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَلَئِنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [سورة القصص : ٨].

ثالثاً: قذف الله سبحانه في قلب زوجة فرعون الطاغية حبّ ذلك الطفل الرضيع، فوقفت سداً منيعاً بحبها الحاني على ذلك الرضيع الغريب الضعيف، ضد القوة والقسوة والغلظة من فرعون وجنده تجاه موسى - عليه السلام - فاستوهبته من فرعون ليكون قرّة عين لها وله، فوهبها إياه مع عدم رضاه بذلك. قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ٩]. فرفض "فرعون" هذا العرض من امرأته، زاعماً أنه ليس بحاجة إليه، والله -تعالى- الحكمة البالغة.

وقد جاء في حديث "الفتون" أن امرأة فرعون أرسلت إلى من حولها من النساء من أجل أن تقوم بإرضاعه فلم تجد حتى جاءت أخته بعد أن أرسلتها أمها لكي

تتحسس أخبار موسى فلما رآته دلّتهم على من يرضعه<sup>(١)</sup>. قال تعالى:

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]،

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ

نَصِيبٌ﴾ [سورة القصص: ١٢].

رابعاً : حرّم الله تعالى على موسى -عليه السلام- جميع المراضع سوى أمه،

لحكم عظيمة، ومنها:

١- إرجاعه إلى أمه كي تقر عينها، ويذهب عنها الحزن، ولتعلم أن وعد الله حق

كما قال تعالى : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَلَيْكِنَّا كَثَرْتُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣]. تتجلى رحمة الله تعالى ولطفه بموسى

وأمه الولهانة المترقة لأخباره، وحسن تدبيره، حيث أنقذ ذلك الرضيع من أيدي

أعدائه، وهو في قبضتهم، وأسكن روعها، وأقرّ عينها برؤية ابنها.

٢- إن المخلوق مهما تكبر وتجبر في هذه الحياة، وادعى أن بيده كل شيء، فإنه لا

يستطيع أن يجلب لنفسه خيراً، أو يدفع عنها ضرراً، فمن باب أولى أن لا يضر غيره، أو

ينفعه.

٣- بيان أن من توكل على الله حق التوكل كفاه، وهذا واضح من حال أم موسى

عندما استسلمت لأمر الله، وقذفت بابنها في اليم، وتوكلت على الله في حفظه

ورعايته كفاها سبحانه في ذلك.

٤- ومن ذلك أنه لا يمكن يحدث شيء في هذا الكون إلاّ بعد إرادة الله له سواء

كان خيراً أو شراً.

(١) انظر: البداية والنهاية (١/٣٠١).

### ٣- حال أم موسى حين ولدته وخوفها أن يقتله زبانية فرعون

يعجز اللسان عن التعبير، والقلم عن الكتابة، في وصف حال تلك الأم الحنون، التي أصيبت بالذهول في تفكيرها، والخرس في لسانها، والحزن في قلبها، والخوف والرجفان في نفسها، على فلذة كبدها، على رضيع لا حول له ولا قوة، أمام عدو طغى وتكبر وتجبر، فأصبح لا يرى في الوجود إلاّ هو، فالأمر أمره، والنهي نهي، -كما يظن ويزعم- وأصدر أمره الظالم، بقتل أبناء بني إسرائيل حتى يتخلص منهم، خوفاً على ملكه الزائل، ونفسه الحقيرة، فماذا ترى سيكون موقف تلك الأم الودود، المتخفية بابنها المولود، وهي في حالة من الذعر والقلق والوجل الشديد؟! لكن الله سبحانه ألهمها الثبات في مواقفها، وربط على قلبها يوم كادت تبدي بأنه ابنها، وجعل نفسها مطمئنة وواثقة بوعد الله لها، وأرشدتها إلى الطريق الأمثل في التعامل مع الحدث العظيم، حيث أمرها - بوحى إلهام - بإرضاعه، فإذا خافت عليه من هجمة العدو عليه أمرها أن تقذفه في اليم، وأن تكل أمره إلى الله، وأن تضرب بالخوف والحزن جانباً، فهو في رعاية خالقه ورازقه ومحييه ومميته، ومع ذلك بشرها بأمرين عظيمين:

**أحدهما:** قريب! وهو أنه سيرجع إليها لكي تقر عينها، ويذهب حزنها، ويهدأ روعها، وتقوم بإرضاعه وكفالاته ولها على ذلك أجر.

**وثانيهما:** بعيد! وهو أنه سيكون من المرسلين!!

إنه لأمر عجيب! كيف تصدق أمه بهذا، وهي تعلم اليقين أن ابنها قد التقمه النهر، وغار في ظلماته، لا يستطيع النجاة من غمراته؟! ولكن لا عجب أن تصدق النفس المؤمنة المطمئنة الواثقة بنصر الله لها أنه سينجز لها ما وعدها إيّاه، فإن الله لا يخلف الميعاد.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي

الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن

رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ

جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ

بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورٌ \* فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ

وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٠-١٣].

يقول سيد قطب: "وها هي ذي أمه حائرة به ، خائفة عليه ، تخشى أن يصل نبأه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين، ها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة ، عاجزة عن حمايته ، عاجزة عن إخفائه ، عاجزة عن حجب صوته الفطري أن ينم عليه ، عاجزة عن تلقيه حيلة أو وسيلة ، ها هي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة.

يا لله! يا للقدرة! يا أم موسى أرضعيه ، فإذا خفت عليه وهو في حضنك، وهو في رعايتك ، إذا خفت عليه وفي فمه ثديك ، وهو تحت عينيك ، إذا خفت عليه ( فألقيه في اليم ) !! ( ولا تخافي ولا تحزني ) إنه هنا في اليم في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها ، اليد التي لا خوف معها ، اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها ، اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً ، وتجعل البحر ملجأً ومناماً ، اليد التي لا يجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولا جبابرة الأرض جميعاً أن يدنوا من حماها الآمن العزيز الجنب. ( إنا رادوه إليك ) فلا خوف على حياته ، ولا حزن على بوعده ( وجاعلوه من المرسلين ) وتلك بشارة الغد ، ووعد الله أصدق القائلين .

هذا هو المشهد الأول في القصة. مشهد الأم الحائرة الخائفة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح، ويتزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحروق برداً وسلاماً، ولا يذكر السياق كيف تلقت أم موسى، ولا كيف نفذته، إنما يسدل الستار عليها ليرفعه" <sup>(١)</sup>.

( لقد سمعت الإيحاء ، وألقت بطفلها إلى الماء ، ولكن أين هو يا ترى، وماذا فعلت به الأمواج ؟ ولعلها سألت نفسها كيف؟ كيف أمنت على فلذة كبدها أن تقذف به في اليم؟ كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أم ؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة ؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب ؟

والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية (فارغاً) لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريح ! (إن كادت لتبدي به ) وتذيع أمرها في الناس وتهتف كالجحونة: أنا ضيعته ،أنا أضعت طفلي ،أنا ألقيت به في اليم اتباعاً لهاتف غريب ! ( لولا أن ربطنا على قلبها ) وشددنا عليه وثبتناها، وأمسكنا بها من الهيام والشروء (لتكون من المؤمنين ) المؤمنين بوعده الله الصابرين على ابتلائه، السائرين على هداه <sup>(٢)</sup>.

إن عناية الله -تعالى- هي العناية الحقيقية، وإن رقايته هي الرقابة الحقة، وإن حفظه هو الحفظ الحقيقي، لقد تجلت رعاية الله تعالى ورقابته وحفظه لكليمه موسى -عليه السلام- في جميع أطوار حياته، من حين ولادته حتى نهايته. وكذلك غيره من إخوانه الرسل، وعباد الله الصالحين، فله الحمد والشكر، لا نخصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه.

(١) في ظلال القرآن (٢٦٧٨/٥-٢٦٧٩) .

(٢) في ظلال القرآن (٢٦٨٠/٥) .

وإن عَرَضَ سير الأنبياء والمرسلين - الذين اختارهم الله - تعالى -، واصطفاهم من خلقه -، على الاستماع لهو أمر مهم، ومطلوب، فهم القدوة الطيبة الذين حملوا المنهج الرباني، وطبقوه في أنفسهم، ثم دعوا البشر إلى اعتناقه وتطبيقه، ولاقوا في سبيل ذلك من المتاعب والمشاق ما الله به عليم، ومع ذلك حفظهم الله تعالى، ومكنهم في الأرض، وصرف عنهم كيد عدوهم، وفي معرفة سيرهم خير زاد في الطريق إلى الله تعالى.

#### ٤- موقف أخت موسى من الحدث والدور الذي قامت به

إنّ النص القرآني يَجْمَلُ موقف أخت موسى - عليه السلام - في أمرين:

الأول: كونها رأت من بُعد، وآل فرعون لا يشعرون بذلك.

والثاني: عرضها على آل فرعون المشورة بطريق الاستفهام ؛ في مسألة

رضاعه التي احتاروا في شأنها حيث لم يتقبل الطفل رضاعاً من المرضعات اللاتي أحضرن لإرضاعه ، ولم يلثم ثدياً بتدبير الله تعالى في ذلك ؛ فقالت : إنها تعرف من يكفله لهم ويقوم بإرضاعه بنصح وأمانة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ <sup>ط</sup> فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ

أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴾ [ القصص: ١١-١٢ ].

وهذه طريقة القرآن في عرض كثير من المشاهد والأحداث يَجْمَلُ ولا يفصل ، ولكن هذا الإجمال يجد معه القارئ كأنما شاهد القصة أو الحدث - كاملة أو متكاملة، وهذا من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وإذا أراد الإنسان أن يرى التفصيل في قصة أخت موسى من الحدث فإن لذلك عدة محاور:

الأول: ما دار بين الأم وابنتها في شأن موسى - عليه السلام - .

**الثاني:** الدور الذي قامت به أخت موسى .

**الثالث:** الحوار الذي دار بين أخت موسى وآل فرعون .

**الرابع:** رجوعها إلى أمها بالبشارة العظيمة بـرجوع موسى - عليه السلام -

إليهن .

ولنبداً بشيء من التفصيل لكل من هذه المحاور حتى تتبين لنا صورة المعاناة

التي واجهت أم موسى وأخته في شأن موسى - عليه السلام -.

**أما المحور الأول :** الذي يدور الحديث فيه حول ما دار بين أم موسى وابنتها في شأن موسى - عليه السلام - وكيف تبخثان عنه وتتعرفان عليه، وأين هو من أرض الله، هل هو في قاع النهر؟ أو على سطحه، بعد أن غرق وفقد الروح بسبب الغرق؟ أو هو في بطون حيتان النهر بعد أن أُلقي به في اليم؟ أو هو على سطح الأرض بعد أن لفظه النهر وقذفه الموج إلى الشاطئ؟

وإذا كان الأمر كذلك فهل خرج من النهر حياً أم ميتاً؟ وإذا كان حياً فما اليد التي وقعت عليه، وأخذته وحضنته؟ هل هي من شيعته؟ أم من عدوّه؟ وإذا كان من عدوّه فكيف الوصول إليه؟ وهل سينجو من البطش منهم؟ بسبب القرار الظالم الذي أصدره فرعون بذبح الأبناء في ذلك العام، وإذا قدر أن أخته وقعت عينها عليه فكيف تصل إليه؟ وكيف تحاول أخذه والهرب به إلى أمها إذا عثرت عليه؟ إنَّ الأسئلة حول هذا كثيرة وغزيرة ومثيرة ومحيرة!

لقد سبق الحديث عن حال أم موسى، وما كابدها، وما تعاناه من خوف

وقلق على ابنها الرضيع الذي ليس له حول ولا قوة ولا حيلة.

أمّا أخته فإنها تشارك أمها في المعاناة، وفي القلق والخوف على أخيها، ولكنها ضعيفة مسكينة مستضعفة في قوم فرعون، شأنها شأن بنات ونساء بني إسرائيل المستضعفات في ذلك العصر من المفسدين الظالمين، ومع ذلك كله قامت



بالدور المطلوب، فله درها من امرأة حرة كريمة، تغلبت على المخاوف الداخلية في نفسها، والعلنية في واقعها، وتحايلت على قوم جبارين حتى أنقذت أخاها من بين أيديهم بعد توفيق الله تعالى وتأييده.

**أما المحور الثاني:** والذي يتضمن الدور الذي قامت به أخت موسى -عليه السلام- حيال البحث عن أخيها، بعد الحوار الذي دار بينها وبين أمها في البحث عن موسى -عليه السلام- وقالت أمها لها: "قصّيه"؛ فقد استجابت أخته لأمر أمها، وقامت بالبحث عن أخيها لكي تطمئن عليه، وتعرف أين هو وفي أيّ مكان هو؟

ولقد قامت بهذا الدور في خفية وحذر من فرعون وجنوده ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ولو شعروا أن هذه أخته وأنها تبحث عنه لما سلمت منهم، ولربما نفذوا فيها وفي أخيها حكم الإعدام، ولكن الله سلّم وله في ذلك حكم جليلة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

**أما المحور الثالث:** الذي يتضمن الحديث عن ما دار بين أخت موسى وآل فرعون، فإنها لما رآته في أيدي خدام آل فرعون؛ ظهر لها أمران:

**الأول:** كونه ممنوعاً عن الرضاع من أيّ ظئرٍ تحاول القيام بإرضاعه.

**والثاني:** كون أولئك الخدم حريصين على إرضاعه ورعايته، فقد قرت به عين زوجة فرعون، وهي ترجو أن ينفعهم أو أن يتخذوه ولداً حيث إنها لا تلد، وكان ذلك بتوفيق الله تعالى وتقديره.

ولما نظرت أخته إلى حال أخيها وحالهم وهم في حيرة من أمره ودهشة، حيث لم يقبل الرضاع قالت لهم في استحياء وخوف ووجل من أن ينكشف حالها وحال أمها بطريق الاستفهام: "هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له

ناصحون؟" فنكرت البيت الذي سيقوم بإرضاعه، ولم تكشف لهم عن حاله شيئاً، مع أنها زكت أهل ذلك البيت لمعرفة ذلك، وهذا من الفطنة. بمكان بعد توفيق الله تعالى فاستجابوا لها، وقبلوا مشورتها، وذهبت به إلى أمها في سرور داخلي غير مكشوف، وفي فرحة تغمرها برجوع أخيها معها إلى أمها. وقيل: إنهم أرسلوا إليها فقدمت إليهم على استحياء.

وورد في حديث الفتون أن أخته قالت لهم من الفرح حين أعياهم الظُّورات<sup>(١)</sup>: "أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فقالوا: وما يدريك ما نصحهم؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك! فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه ورغبته في صهر الملك، ورجاء منفعة الملك، فأرسلوها فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها الخبر، فجاءت أمه فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه رِيّاً، وانطلق البشير إلى امرأة فرعون<sup>(٢)</sup>."

وأيّاً كان الأمر: ذهبت به إلى أمها، أو أنهم أرسلوا إليها فقدمت ... فالعبرة باللقاء الذي تم بين الأم والأخت والابن الرضيع، بعد تلك المعاناة الشديدة من الدهول والخوف، والقلق من الأم والأخت على ذلك الطفل الرضيع.

ولله درك يا أخت موسى على ذلك الدور الذي قمت به في ذلك الجوء المخيف، واجتمع الموبوء المحيط بك وبأهلك وبأخيك، ذلك الدور الذي قلما يقوم به عظماء الرجال، فكيف بالنساء! وكم نحن بحاجة إلى تملي الدروس والعظات والعبر، واستنباطها من خلال النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية، وكم نحن بحاجة إلى اللجوء إلى الله الذي بيده مقاليد الأمور كلها، والأخذ

(١) جمع ظفر. والظفر: هي المرأة التي تقوم بالإرضاع.

(٢) البداية والنهاية (٣٠١/١).

بالأسباب، والتوكل عليه، والصبر في الطريق بدون تردد ولا انهماك.

أما المحور الرابع: الذي يتضمن البشارة برجوع موسى - عليه السلام - إلى أمه الحائرة الخائفة الفارغة الذاهلة المتلمسة لأخباره صباح مساء، فبعد تلك المعاناة عاد الرضيع الغائب إلى أمه سليماً معافى محفوظاً بحفظ الله له، بعد تسخير أعدائه لرعايته وكلاءته.

ما أعظم فرحتك يا أم موسى بموسى، هل الأمر حقيقة أم خيال؟ عيون تدمع من الفرح، وصدر يضمه من الفرح، وثرر يقبله من الفرح، وثرر يرضعه من الفرح، وقلب ينبض من الفرح، ونفس مطمئنة من الفرح، وأيدٍ ترتعش من الفرح، وأرجل تتبختر من الفرح.

ما أرحمك يا رب بعبادك! وما أحلمك يا رب بعبادك! وما أكرمك يا رب بعبادك! من دعاك أجبتك، ومن استغفرك غفرت له، ومن سألك أعطيتك، ومن استعاذك أعدته، ومن توكل عليك كفيتك، ومن خاف منك أمنتك، ومن استنصرك نصرته، ومن استجارك أجرته، ومن تقرب إليك شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليك ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاك يمشي أتيتك هرولة.

لقد لجأت أم موسى إلى الله تعالى فربط الله على قلبها، وهدأ من روعها، وكادت تبدي بخبر موسى لولا وعد الله لها سبحانه بأنه سيعيده إليها، وسيكون - زيادة على ذلك - من المرسلين. قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فِإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا زَادُوهُ إِيَّاكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]. وقال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ۖ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٣].

## ٥- رحلة في النهر لرضيع في المهد : الرحلة البحرية لموسى وهو في المهد

يبرز للعيان عدة أسئلة لا نجد لها جواباً، بل الجواب لها عناية الله ورعايته وتدبيره لحياة ذلك الطفل الرضيع، ومن تلك الأسئلة:

يا ترى ما الذنب الذي ارتكبه ذلك الطفل الرضيع حتى يرمى به في اليم العظيم؟ وهل كان هناك حرس يتلقونه إذا قذف به في النهر حتى ينقذوه من الغرق والهلاك؟ وهل اليد التي قذفته متعمدة أو سقط منها خطأ، فما استطاعت أن تلحق به وتسترجعه إليها؟ وهل يعقل أن أهله كارهون له ويريدون التخلص منه؟

والجواب على ذلك كله يظهر لنا جلياً في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ \* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٦٨-٧٠].

إن الله سبحانه خلق الجن والإنس لعبادته وحده دون من سواه، وهداهم النجدين، وأوضح لهم الطريقين بواسطة رسله الكرام؛ طريق الخير والصلاح وطريق الشر والفساد، وقد بلغوا ما أنزل إليهم، وأول تكليف طلبوه منهم عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، وجعل سبحانه من سنته ابتلاء الناس بعضهم ببعض، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، كما جعل من سنته التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وإن من عدل الله وفضله ومنته أنه حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً. قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وفي الحديث القدسي الصحيح: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" رواه مسلم.

وبعض خلق الله كتب عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة، فيشقى به من كان تحت ولايته، أو حوله، ومن أولئك "فرعون المنيون" ذلك الرجل الطاغية، الذي ادعى الربوبية، كما حكى الله عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

ووصفه الله بالطغيان وكثرة الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِيَ الْأَوْتَادِ \* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ \* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ \* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ \* إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ صَادٍ﴾ [الفجر: ١٠-١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

ومن أعظم فسادة ادعاؤه الربوبية والألوهية، ثم ذبحه لأبناء بني إسرائيل خوفاً على ملكه ونفسه منهم.

وقضى الله سبحانه أن يولد نبي الله موسى - عليه السلام - في العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر. فأصبحت أم موسى في حالة يرثى لها. كيف تخفي ولدها الرضيع عن زبانية فرعون، وهم يعرفون أنها كانت حاملاً؟ كيف تغادر أرض الظالمين وليس لها حول ولا قوة؟ إذن هل تباشر وأد ولدها بيدها وتدسه في التراب خير لها أم تسلمه إلى قوم قست قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة؟!!

وعبر الرضيع النهر يتقاذفه الموج من هنا وهناك، ويسوقه وهو في بطن

ذلك التابوت في هدوء وسكون وفي راحة وطمأنينة قدرية، ليس له حيلة ولا بصيرة مما هو فيه، لا عقل يفكر به، ولا بصر ينظر به، ولا سمع يميز به ما يسمع، ولا لسان يعبر به ويبين به عما يجد، ولا يد يبطش بها، ولا رجل يمشي عليها، كل هذه الجوارح مسلوب عملها ذلك، لكونه لا زال في المهد رضيعاً، لكن عناية الله ورعايته ورقابته تحيط به وتحفظه من كل شيء، وصدق الله القائل: ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] ولكن الناس لا يعلمون.

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ \* وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \* وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ \* ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ \* كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

ما أعظم المنن والنعم التي امتن الله بها وأنعم بها على خلقه، لا يستطيع الإنسان عدها، بل لا يستطيع شكرها، وصدق الله القائل: ﴿وَأَتْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤]. إن المخاوف البحرية أيّاً كانت؛ أمواجاً، أو غرقاً، أو حيوانات من حيوانات البحر المفترسة، أو ظلمات، أو غير ذلك مما يتصوره الإنسان على مثل ذلك الرضيع الصغير الضعيف أو غيره، تكون أمناً وطمأنينة وهدوءاً وسكينة بتدبير الله تعالى لها، فهو الخالق المصرف الذي بيده ملكوت كل شيء، إذا أراد شيئاً قال

له كن فيكون، فقد ساقته عناية الله بلطف وهدوء، وهو يسبح في تابوته على سطح اليم إلى شاطئ قريب من بيت فرعون وجنوده، فاستقبله الجواري اللاتي يخدمن زوجة فرعون، وحملن التابوت بما فيه دون أن يكشفنه إلى سيدتهن، فلما كشفن عنه هيأ الله له في قلب امرأة فرعون المحبة والإجلال؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولكن كيف تتعامل مع زوجها الظالم القاسي بذبح كل مولود ذكر في ذلك العام، هل تحفيه عن العيون وتتستر عليه؟ إنها لا تستطيع ذلك لأن أمره قد ذاع وانتشر في أوساط الجند والحاشية.

إن بيوت الجبابرة ودواوينهم قد تحترق، إمّا من داخلها أو من خارجها، انظر إلى ما هيأه الله لهذا الرضيع وهو في المهده، لا يعرف توكلاً، وليس له عزيمة ولا قدرة، ولا يعرف وسيلة ولا هدفاً ولا غايةً، وهو في قبضة من يريد ذبحه والتخلص منه، وليس لديه أي تردد في ذلك، وهو داخل داره وبين جنوده وغلمان، ومع ذلك هيأ الله له من يعطف عليه ويدافع عنه، ويجادل فرعون في أمره وهو لا يشعر بذلك، فأصبح عدواً وحرناً لفرعون في داخل داره، فقد أصرت زوجة فرعون على النهي عن قتل الطفل ودفعت الاعتداء عليه؛ فاستجاب فرعون لها، مع تخوفه منه وكرهه لذلك، وصرف الله عنه بطش فرعون وظلمه وطغيانه... ثم إنها استنفرت خدمها للعناية بموسى - عليه السلام - فكلفتهم البحث عن المرضعات لكي يقمن بإرضاعه وإطعامه، فحضرن وحاولن أن يرضعنه، لكنه امتنع عن ذلك، فلم يلقم ثديا على الإطلاق، لأن الله تعالى حرّم ذلك عليه لحكمة يريد بها سبحانه. قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ [القصص: ١٢]. وقد بين لنا الله شيئاً من تلك الحكمة، كما ذكرنا فيما سبق عند الكلام على ميلاد موسى - عليه السلام -.

ورجع موسى إلى الحضن الذي فارقته، وإلى اليد التي تلقتة وحملتة، وإلى العين التي دمعت عليه وودعته، وإلى الثغر الذي قبله ولشمه، كيف فرحتك يا أم موسى برضيعك البحار، وصغيرك الغائب؟!

لقد عاد رجفان قلبك سكوناً وطمأنينة، وقلق النفس هدوءاً، ودموع الحزن دموع فرح وغبطة، وظلام البيت نوراً وضياءً، وثرثرة الكلام تسبيحاً وتذكيراً، والحزن فرحاً وسروراً، والخوف أمناً ويقيناً، فقري عيناً يا أم موسى بطفلك الغائب، وعيشي أنت وإياه على فراش واحد، نسيمات نفسه تقبل صدرك، ولمسات يديه الصغيرتين تداعب ثديك، وصوته الصغير يقرع أسماعك، وتزايغ بصره يغازل بصرك، وحركات رجله الضعيفتين تضرب حواشيك فأنت في سرور وفرح، وهدوء وغبطة، فالحمد لله الذي رد الغائب إلى أهله، وربط على جأشك وقلبك حتى عاد إليك من أفزعك فراقه، لك الحمد يا رب حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضى .

## ٦- نشأة موسى في بيت " فرعون " وموقف زوجة فرعون منهما

قبل أن نتعرف على نشأة ذلك الطفل الرضيع، في بيت طاغية العصر- فرعون- اللعين، نتعرف على شيء من سيرة وسلوك فرعون الطاغية الجبار الذي تربى الطفل الرضيع في بيته على غير محبة منه ولا ود، من خلال النصوص القرآنية. إن فرعون ادعى لنفسه الربوبية والألوهية وأعلن ذلك في الملأ. قال تعالى:

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى \* ثُمَّ أَدْبَرَ سَعْيَ \* فَحَشَرَ فَنَادَى \* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[النازعات: ٢٠-٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوهَا أَلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ

غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي



لَأُظَنَّهُ مِنْ الْكَذِبِينَ ﴿ [القصص: ٣٨] .

وتنكر فرعون لرب العالمين، وسأل موسى عنه، سؤال استنكار واستكبار.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] .

وتوعد من اتخذ غيره إلهاً بالسجن والتنكيل. قال تعالى: ﴿ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ

إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] .

وإن فرعون علا في الأرض وأفسد فيها شر فساد . قال تعالى : ﴿ إِنَّ

فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ

وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤] ، وقال تعالى: ﴿ فَمَا أَمَنَ

لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ

لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣] .

ولقد طغى فرعون كل الطغيان، فأضل قومه وغوى، فقال الله تعالى لنبيه

موسى - عليه السلام - : ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: ٢٤] ، وقال تعالى:

﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾ [الفجر: ١١] . وقال تعالى : ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا

هَدَى ﴾ [طه: ٧٩] .

وأعلن فرعون لقومه أن الرأي رأيه، ولا رأي لأحد سواه، وأنه يرشدهم

إلى أهدى سبيل، وأقوم طريق. قال تعالى : ﴿ يَنْقُورُ لَكُمْ أَنْتُمْ ظَاهِرِينَ فِي

الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ

إِلَّا سَبِيلَ الْرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] .

هذه نبذة يسيرة، من خلال النصوص القرآنية، بينت لنا ووضحت شيئاً من سيرة فرعون الطاغية، ومواقفه المخزية، نعوذ بالله من حاله، وحال أصحابه، وحال أمثاله في كل عصر ومصر، وفي ذلك غنية ومعتبر لمن أراد أن ينظر ويعتبر. حاولت آسية - زوجة فرعون - أن ترغب أم موسى للبقاء معها في مقرر فرعون، وتغدق عليها من النعم والخيرات، لكنها رفضت ذلك وامتنعت، فعاش موسى في كنف أمه سليماً معافى، والكفالة والرعاية تصل إليه وإلى أمه من بيت آل فرعون.

فلما كبر وترعرع طلبته (آسية) أن يقدم إليها لكي تراه ، وأمرت حاشيتها باستقباله وتكريمه بالهدايا والجوائز، وتم ذلك.

وورد في حديث الفتون: ( فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أريني ابني فوعدها يوماً تريها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظئورها وقهارمتها<sup>(١)</sup>: لا ييقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه، وأنا باعثة أميناً يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نخلته وأكرمته فرحاً به، ونخلت أمه بحسن أثرها عليه<sup>(٢)</sup>.

وزهدت زوجة فرعون بابنها المدعى، وفرحت به فرحاً شديداً، وأرادت تكريمه زيادة على ما فعلت، ففكرت في إدخاله على فرعون ليكرمه ويرفع من شأنه، وليغدق عليه من الحلل والجوائز، وعزمت على ذلك وقالت: (لأتين به فرعون

(١) لعلها جمع قهرمان وهو المسيطر الحفيظ على ما تحت يديه ، والقائم بأمور الرجل بلغة

الفرس ، ينظر لسان العرب مادة ( ق ه ر م ) .

(٢) البداية والنهاية (٣٠١/١).

فلينحلنه وليكرمنه، فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض ، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم بنيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه<sup>(١)</sup>. سبحان الله كيف وصل الحال بفرعون وبطانته السيئة إلى أن يفسروا تحركات ذلك الطفل الصغير إلى ألها تهديدات وتوعيدات بانقضاء ملك فرعون على يد ذلك الطفل الرضيع.

لقد استيقنت نفوسهم أنهم على غير الحق، لكن التكبر في الأرض بغير حق يؤدي بصاحبه إلى عدم الانصياع للبراهين والأدلة الصادقة، ولقد هرعت -آسية- زوجة فرعون حينما علمت أن زوجها استدعى الذباحين ليذبحوا موسى ، وأخذت تناقشه في شأن ابنها الصغير موسى، وتريد أن تقنعه بأن ما جرى فعل طفل صغير لا يعقل من أمور الحياة شيئاً.

لكن فرعون تأول ما جرى بما تأولته به بطانته ، وزعم أنه يصرعه ويرثه، وأنه يعلو عليه فلا بد من التخلص منه، لئلا يقع منه شيء من ذلك. وربط الظلمة الظالمون بين ما وعد الله - سبحانه - خليله إبراهيم - عليه السلام - أن في ذريته الملك والنبوة، وبين هذا الطفل الرضيع وظنوا أنه سيكون من أولئك الذرية، الذين سيهدم ويحطم على أيديهم ملك فرعون وجنوده -مستقبلاً- وكان الأمر كذلك.

وورد في حديث الفتون أن امرأة فرعون جاءت إليه تسعى ( فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ فقال: ألا تريه يزعم أنه يصرعني ويعلوني؟! . فقالت: اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق أنت! أتت بجمرتين ولؤلؤتين فقرهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين

ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب إليه فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده. فقالت المرأة: ألا ترى؟! فصرفه الله عنه بعد ما كان همّ به وكان الله بالغاً فيه أمره<sup>(١)</sup>.

وهكذا نشأ موسى - عليه السلام - وترعرع بين أحضان أمه، وتحت رقابة زوجة فرعون آسية التي هيأها الله تعالى لحمايته ورعايته ورقابته والدفاع عنه بالليل والنهار، حيث ألقى الله تعالى على موسى منها محبة له ؛ فصارت تكن في قلبها ما لا يظهر على أعماله وأقوالها، فصرف الله بسببها عن موسى ظلم الظالمين، وكيد الخائنين والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولما وقعت المواجهة بين موسى - عليه السلام - وبين فرعون وسحرته في يوم الزينة كانت هي - رضي الله عنها - ترصد الموقف، وتربص بفرعون وجنده، وتدعو الله سبحانه أن ينتصر موسى عليهم. وكتب الله تعالى النصر لموسى - عليه السلام - ؛ فصار قرة عين لها بقضاء الله وقدره حيث أخرجها بفضل الله تعالى من الظلمات إلى النور ونجّاهما ربنا سبحانه بسبب موسى من فرعون وقومه الظالمين .

## ٧- موقف فرعون من موسى - عليه السلام- لما بلغ أشده ووقع منه ما وقع في المدينة

لما شب موسى - عليه السلام - عن الطوق ، وبلغ أشده، وصار يذكر في المجتمع على السنة الرجال، وكان عوناً ونصيراً- بأمر الله- لبني إسرائيل حيث خفف عنهم كثيراً من الأحمال والأثقال والسخرية والاستهزاء والامتهان والاحتقار في أوساط المجتمع القبطي.

فبينما موسى -عليه السلام- ذات يوم يمشي على حين غفلة في تلك المدينة، إذ رأى رجلين يقتتلان: أحدهما: إسرائيلي من شيعته، والآخر: قبطي من أعدائه ؛ فاستغاثه واستنصره الإسرائيلي فأجابه فوكر القبطي فقضى عليه ، كما أخبر الله بذلك في كتابه فقال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۖ ﴾ [ القصص: ١٥ ]. ولا يعلم بهذا الحادث إلا الله تعالى ثم موسى والرجل الذي من شيعته.

وانتشر خبر المقتول القبطي في المجتمع. وصاروا يبحثون عمن قتله، وأين يكون حتى يقاد، ويقتص منه على فعلته الشنيعة. ورفع أمره إلى فرعون واستعظم ذلك واستنكره، وطلب منهم تقديم البينة والبحث عن الجاني ، وعلم موسى -عليه السلام- بذلك فأصبح خائفاً في المدينة يترقب الأخبار، ويفكر كيف المخلص ممن يطلبه ويبحث عنه.

وعاد موسى -عليه السلام- إلى نفسه وحاسبها، ولامها على ما أقدمت عليه، وعلم أن ما أقدم عليه إنما هو ضرب من عمل الشيطان، فقال لما رأى المقتول أمام ناظره : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۖ ﴾ [ القصص: ١٥ ].

ثم لجأ - عليه السلام- إلى ربه واعترف بأنه ظلم نفسه ، وطلب منه العفو والمغفرة، فهو أهل العفو والمغفرة ، كما عاهد ربه أنه لن يكون عوناً ولا ظهيراً للمجرمين. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً

لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿ [ القصص: ١٦ - ١٧ ].

لقد غفر الله تعالى لعبده موسى - عليه السلام - لكنه أصبح يعيش في تلك المدينة التي ارتكب فيها تلك الخطيئة خائفاً من أن ينكشف أمره ، وليس له ركن شديد يأوي إليه لا من شيعته ولا من غيرهم، كما أنه خائف أن يعود ضرر ما ارتكبه على بني إسرائيل، فهم مستضعفون، وربما يزدادون شقاءً وبؤساً بسببه، وخائف على أسرته - أمه وأخته - ومن سواهم أن يقع عليهم من ألوان العذاب ما الله به عليم .

وهو يتربص متى يصلون إليه، ويتربص متى يقع في أيديهم، ويتربص كيف يواجههم إذا تراءى هو وإياهم.

لقد أصبح موقفه مهتراً أمام أولئك القوم الذين تربصوا به وهو في المهد، وحاولوا قتله، والتخلص منه، فكيف وقد وقع منه ما يسئ إليهم، ولو انكشف فأين يذهب؟ وكيف يبحث عن المخرج للهروب حتى لا يقع في قبضة أولئك المجرمين؟

وقضى الله سبحانه وتعالى أن ينكشف أمر موسى لدى فرعون وجنوده بطريقة عجيبة حيث لم يتعبوا في استقصاء الخبر، بل جاء الخبر إليهم دون عناء ولا مشقة.

فبينما كان موسى - عليه السلام - خائفاً يتربص الأخبار، إذ هو بذلك الرجل الذي من شيعته الذي استنصره واستغاثه على القبطي يقاتل قبطياً آخر، فطلب من موسى إعانته عليه كما أعانه من قبل على السابق. فاستنصر موسى - عليه السلام - فعل الرجل ، ووصمه بالغواية ، وبين الله ذلك في كتابه فقال : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ ۖ

مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ [القصص: ١٨].

ثم أراد موسى عليه السلام أن يبطش بالرجل القبطي فظن الإسرائيلي أن موسى يريد البطش به ؛ فأفشى السر الذي مضى من قتل الفرعوني السابق ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۚ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ ﴾ [القصص: ١٩] ، فزيادة على كشف ذلك السر وصف موسى - عليه السلام - بالجبوت في الأرض ، وبأنه لا يريد أن يكون من المصلحين ...

انفك النزاع بين الإسرائيلي والفرعوني، وانطلق الفرعوني بعد ما سمع الحوار الذي دار بين موسى والإسرائيلي إلى قومه، وأخبرهم الخبر، وأن موسى هو الذي قتل الفرعوني. فعليكم أن تأخذوا بالثأر، وهنا جند فرعون جنده، وأمرهم بالبحث عن موسى والقبض عليه، وتقديمه للعدالة، أهذا يصدر من موسى الذي تربى في بيوتنا، وأحسننا إليه وأغدقنا عليه يفعل تلك الفعلة الشنيعة؟

## ٨ - (وما يعلم جنود ربك إلا هو)

لما بدأ جند فرعون ييثون عيونهم من أجل التعرف على مكان موسى لكي يصلوا إليه ؛ هيا الله تعالى لعبده موسى - عليه السلام - جندياً من جنوده المجهولين ينقل إليه خبر أعدائه، ويمحضه النصيح ، ويرشده إلى الطريق الأسلم ، وما أجمل النصيح والإرشاد في ساعة الكرب والاختناق .

إن موسى - عليه السلام - يعيش حالة كرب من تربص أعدائه به ، ومتابعتهم له ، ومجتثهم عنه ، وليس له من يعينه بالرأي والمشورة ، وهو فرد أعزل

من كل شيء ، فيأتي ذلك الرجل من مكان بعيد ( من أقصى المدينة ) ، بعد أن علم بخبر القوم وأهم يبحثون عن موسى - عليه السلام - من أجل القضاء عليه ، فينطلق مسرعاً تجاه موسى يخبره الخبر .

وهنا عدة أسئلة واستفهامات عدة حول هذا الرجل وما قام به ؛ منها :  
ما العلاقة بين موسى وهذا الرجل؟ هل هو من شيعته؟ أو هل هو من قرابته؟ وهل كان بينه وبين موسى تعاون في ذلك المجتمع الجاهلي؟ وهل هو مكلف بعمل معين يقوم به؟ وهل كان يعلم بمقر موسى؟ وكيف وصل إليه، وجنود فرعون منتشرون في أنحاء المجتمع؟ وكيف وصل إليه خبر الملائكة؟

إن هذه الأسئلة لا نستطيع أن نجد لها جواباً يقيناً ، لكن الذي يجب أن لا نختار فيه أن قيام ذلك الرجل بذلك الدور العظيم هو من حفظ الله لعباده ورعايتهم ودفع الشرور عنهم فله الحمد على فضله وإحسانه . لقد قام ذلك الرجل بدور الرجال إذا ذكر الرجال بحق ، فهؤلاء قليل .

لقد احترق الملائكة (فرعون وملائكته) وعرف خبرهم وعرف خطتهم نحو موسى - عليه السلام - فأخبره خبرهم ، ولم يأبه بفرعون وجنوده ، ذلك الرجل الذي ادعى الربوبية والألوهية ، ويا ويل من يخالفه في الرأي ، أو يخرج عن قانونه ، فذهب إلى موسى لكي يخبره وينقذه من الوقوع في قبضتهم .

كم تحتاج الأمة إلى الرجال الصادقين الصالحين الذين يفكرون لها ويتشاورون في قضايا أمتهم ودينهم ، ويكشفون مخططات الأعداء ، ويعدون العدة لإنقاذ أمتهم من الوقوع في براثنهم ، ويحفظون دينهم من التشويه ، والنقص أو الزيادة ، ويبلغونه كما جاء من عند الله .

لقد استجاب موسى - عليه السلام - لنصيحة ذلك الرجل ولا شك أنها وقعت على قلبه برداً وسلاماً ، ونفست عنه كرباً وهماً وحيرة من أمره .



فخرج من تلك المدينة وربما يكون الهاجس الأمني يسيطر على موسى في طريقه وربما يلحقون به في الطريق فينتقمون منه.

هذه حياة الأنبياء وسيرتهم ، وهذه أقدار الله تعالى لهم ، تولى الله تعالى تربيته ، وابتلاهم قضاء وقدرًا منه لهم ، ليكونوا قدوة لمن بعدهم من أمتهم ، وليعلم ورثة الأنبياء أن الطريق الصحيح هو طريق الأنبياء فليصبروا وليحتسبوا على ما يلاقون في طريقهم وليدعوا ربهم أن يهديهم السبيل المستقيم وأن ينجيهم من كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين ، ومكر الماكرين ، أسوة بالأنبياء في ذلك ، ولا يستعجلوا الطريق ، فإن النصر بيد الله تعالى ، ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

#### ٩- الرحلة البرية الأولى لموسى - عليه السلام - : الخروج من الوطن

لقد خرج نبي الله موسى - عليه السلام - من بلده الذي ولد فيه ونشأ فيه "مصر" إلى بلد آخر لا يعرفه، ولا يعرف الطريق إليه، يسمى "مدين" خرج وحيداً لا أنيس معه في الطريق من قريب ولا من بعيد، يتجاذب معه أطراف الحديث، ويؤنسه وحشة الطريق. ولم يخرج آمناً مطمئناً ينظر في صفحات الكون المشاهد، ويرى عظمة الله تعالى في مخلوقاته المتعددة والمتنوعة، بل خرج خائفاً وجللاً من قوم تمالؤوا عليه ليقتلوه، ويتزلوا به أشد العقوبة، وكان يترقب الانقضاء عليه من كل جانب، لأنه لا يعرف مسالك الطريق، وما تعود ذلك، آه من وحشة الطريق، وانعدام النصير، وقلة السالك، وجور الباغي، ومطاردته.

ومن كان هذه حاله -خوف يتملكه، وعدو يطارده ويتهدده- لزمته حالة

قلق، وتربص مستمر، وتفكير مضطرب، لا يدري متى يبطش به العدو، ويقع في قبضته، ولا يدري متى يصل إلى قوم يأنس برؤيتهم، ويزيلون عنه شيئاً من العناء والوحشة والرجفة والقلق، كيف يأوي إليهم، وكيف يقص خبره عليهم، وكيف يستقبلونه؟ ولا يدري هل سيعود إلى وطنه الذي خرج منه مضطراً...

إنها معاناة في داخل النفس، ومعاناة في الطريق، ومعاناة من قلة الزاد... لكن الرجل المؤمن بالله، والواثق بنصره، والمتوكل عليه حق التوكل، يلجأ إليه ويعتصم به ويتضرع إليه، فهو الخالق الرازق وهو المحيي والمميت، وهو النافع ويده مقاليد الأمور، لا راد لما قضى، ولا مانع لما أعطى، ولا مذلل لمن أعز، ولا معز لمن أذل.

لقد لجأ موسى - عليه السلام - إلى ربه، وطلب منه أمرين عظيمين:

**الأول:** طلبه النجاة من الظالمين. قال تعالى: ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

**قَالَ رَبِّ اجْنُبْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٢١].

**الثاني:** طلبه أن يرشده ويهديه إلى الطريق المستقيم. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا

**تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ [سورة القصص: ٢٢].

إن اللجوء إلى الله تعالى في حالة السراء والضراء هو المطلوب، لأن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، ومقدر الأمور، وييده مقاليد كل شيء.

إن البشر مهما أعطوا من القوة ومهما أعدوا من العدة، فإنهم لا يساوون شيئاً أمام قدرة الله وعظمته، فالخلق خلق الله، والأمر أمره.

وإن نبي الله موسى - عليه السلام - لجأ إلى قوة ما بعدها قوة، وإلى رعاية ما بعدها رعاية، وإلى رقابة ما بعدها رقابة، وإلى إرادة ما بعدها إرادة، لجأ إلى الله تعالى، ونعم بالله، ما خاب من دعاه ولا خاف من توكل عليه ولا ذل من لاذ

بجانبه.

إن الظالمين نسوا قدرة الله، وظنوا أنهم خارجون من قبضة الله سبحانه،  
إنهم في غيهم يعمهون، وفي ظلالهم يسدرون، إنهم جاهلون بحقيقة أنفسهم، ومن  
كان حاله كذلك فهو ظالم لنفسه ولغيره ؛ ولذا يجب الحذر منهم، وكشف حالهم،  
والبعد عن العيش في كنفهم، فإنهم لا يزيدون الناس إلا ضللاً وتباراً.

وعلى المسلم أن يدعو ربه أن يوفقه في أقواله وأعماله، وأن يهديه إلى  
الطريق والسبيل القويم، فإنه لا يهدي لذلك إلا هو سبحانه، ويجب أن يكون هذا  
ديدن المسلم، ويزداد ذلك في حالة الكرب والشدة كما فعل نبي الله موسى - عليه  
السلام - .

وبينما كان نبي الله موسى - عليه السلام - ماشياً في طريقه إلى (مدين)  
وقبل أن يصل إلى تلك المدينة وجد في طريقه ماءً يسمى (ماء مدين) يرد إليه الناس  
يسقون أنعامهم ، ويروون غليلهم ، وإن منظر الرعاة وهم يسقون رعيتهم - من  
الماشية - ليشير الدهشة لمن ينظر في أمرهم، ويشاهد حالهم .

لو نظرت إلى الدلاء وهي في أشطائها خالية وملاى من الماء، واختلافها في  
الترع والإنزال ، ولو سمعت إلى الرجز ممن يسقي ويترع الدلاء ، ولو رأيت تراحم  
المواشي على الماء ، ولو رأيت التنازع بينهم أيهم يتقدم عن صاحبه وجاره لرأيت  
عجباً ، ولو رأيت عضلات الذراعين المفتولتين وهي تترع الدلاء ، ولو رأيت  
العرق وهو يتصب من الجبين ومناسم الجسم ، مبللاً الملابس، ولو سمعت النغمات  
التي تصدر منهم وهم ينادون بها دواهم ، ولكل نوع من الماشية نغمة غير نغمة  
الأخرى فللغنم نغمة، وللبقر نغمة ، ولالإبل نغمة ، وللحمير نغمة، لرأيت عجباً !!  
ولقد لفت انتباه نبي الله موسى - عليه السلام - من تلك الأمة المجتمع على  
السقي - امرأتان بعيداً عنهم تمنعان غنمهما عن ذلك المجتمع، فسألهما موسى -

عليه السلام- عن سر بعدهما عن الرعاء فأجابتا بأمرين :

**الأول :** أنهما لا تسقيان حتى ينصرف الرعاة .

**الثاني :** أن أباهما شيخ كبير .

ويبدو - والله أعلم- أن أباهما رسم لهما الخطة في السقي، فلكونه لا يستطيع أن يرد معهما الماء لمساعدتهما في السقي ، وليكون محرماً لهما، أرشدهما إلى التريث، والبعد عن المزاحمة للرعاء حتى يصدروا، ثم تردان بعدهم الماء فطبقتا ذلك ، وربما يكون ذلك التصرف صادراً منهما لرعاية عقليهما، وتغلب الحياء والخجل عليهما حتى لا تقعا في مزاحمة الرعاة، فلهذا درهما، وشكر الله سعيهما، وهكذا شأن المسلمات المؤمنات يغضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ويتعدن عن مواطن الرجال في أي مكان كانوا؛ لما يؤدي إليه اختلاط النساء بالرجال من فتنة وفساد في الأخلاق ...

فتقدم موسى- عليه السلام- إلى الماء وكشف الغطاء عنه وأدلى دلوه ونزع لهن من الماء وسقى لهن، وعاد إلى الظل مناجياً ومنادياً ربه في خضوع وافتقار ، وسكون وانكسار. اخرج ابن أبي شيبة بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى- عليه السلام- لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان قال: ما خطبكما؟ فحدثناه، فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم .قال ابن كثير: إسناده صحيح. أهـ. وهو موقوف ، ويحتمل أن يكون من الإسرائيليات ...

إن نبي الله موسى- عليه السلام- حباه ربه قوة في جسمه ، وفي عقله، وإيمانه، ومع ذلك يلجأ إلى من حباه تلك القوة فيعترف بالتقصير والفقر، وأن لا

ملجأ من الله إلا إليه . قال تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي

لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [ القصص: ٢٤ ].

إن هذه المبادرة من نبي الله موسى - عليه السلام - في إعانة الضعيف

ومساعدته في قضاء حاجته هو خلق عظيم حث عليه الدين الحنيف .

إن موسى - عليه السلام - خرج من مدينته خائفاً يترقب ومن كانت هذه

حاله فإنه يبحث عن مكان خفي لا يراه الناس ولا يجب أن يروه حتى لا ينكشف

أمره خشية أن يدلّوا عليه أعداءه ، لكن موسى - عليه السلام - يبادر إلى فعل

الخيرات ، ويساعد المحتاج ، ويعين الضعيف على قضاء حاجته ، مفوضاً أمره إلى

خالقه ومتوكلاً عليه ، ومعتزلاً بضعفه وفقره أمام ربه وخالقه .

وهكذا يجب أن يكون الذين يقتدون برسل الله الكرام - عليهم الصلاة

والسلام - وينتهجون نهجهم ، ويسيروا على طريقهم آخذين بالأسباب ومتوكلين

على الله غير عابئين بالعوائق والعقبات التي يلاقونها في طريقهم إلى الله تعالى .

لقد رجعت المرأتان إلى مستقرهما ، وإلى أبيهما ، وهما تحملان شعوراً عجيباً

لذلك الرجل الذي بادر إلى السقي لهما وإعانتتهما ، بعدما استفسر عن حالهما ،

وأخبرت أباهما بحاله ، وربما أهما سمعتا مناجاته لربه ، ونقلتا تلك المناجاة إلى أبيهما .

## ١٠ - موسى - عليه السلام - والشيخ الكبير

لما قام موسى - عليه السلام - بالسقي لتلك المرأتين الضعيفتين تولى إلى

الظل وحيداً فريداً أين ييمم وجهه ، وأين يتوجه وأين يأوي ويختفي من الأعداء

الذين يتابعون أخباره ، ويقتفون أثره كي ييطشوا به ، لجأ إلى ربه اللطيف الخبير ،

فشكا إليه حاله - وهو سبحانه أعلم به - فإن الإنسان مهما أعطي من الخير ؛ لا

يزال فقيراً إلى خالقه ورازقه ومحبيه وممته، قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ

فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص: ٢٤] .

ويذكر بعض السلف: أن المرأتين سمعتا هذا الدعاء من موسى - عليه السلام - ولما قفلتا راجعتين إلى مقرهما ومسكنهما واجهتا أباهما بما رأتا وشاهدتا من تصرف ذلك الفتى نحوهما، فأعجبتا بقوته، وبأدبه الجسم، وبمبادرته لإعانتتهما، وذكرتا لأبيهما ما سمعتا منه من ذلك الدعاء الذي يدل على قوة الصلة بالله تعالى والاعتراف لله تعالى بحاجته إليه مهما أعطي من الخير سواء كان كبيراً أو صغيراً، وأن ذلك يدل على وحشة يعيشها موسى في طريقه.

ثم طلبت إحدهما من أبيهما أن يستأجره، ولعلها قد تفرست في موسى - عليه السلام - وهو يسقي لهما الغربة والمشقة والعناء، زيادة على ما رأته منه وشاهدت من القوة والأمانة، فأرادت الاستفادة منه والعطف عليه، وهذا من الأسباب التي هياها الله سبحانه لموسى - عليه السلام - . قال تعالى: ﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَّخِذُهَا بِطَنٍ حَتَّىٰ مَنِ اسْتَجِرَّتْ أَلْفَوْهُ الْآمِينُ﴾ [سورة القصص: ٢٦]، فأمرها أبوها بالذهاب إلى موسى لدعوته، والإتيان به، ويبدو أن مكانه الذي آوى إليه ليس بعيداً عنهم.

فجاءت تلك الفتاة موسى - عليه السلام - على استحياء، لتبلغه دعوة أبيها، ولما وصلت إليه أبلغته الدعوة في أدب رفيع، ومنطق سليم، وأخبرته أن والدها يريد أن يجازيه ويحسن إليه مقابل ما قدم لهما من الخدمة في السقي . قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص : ٢٥].

فاستجاب موسى - عليه السلام - لتلك الدعوة وانطلق معها إلى أبيها، كيف لا وهو يعيش وحشة الطريق وغربتها، لا يعرف من يأوي إليه ويستأنس بالحديث معه، ولا شك أن ذلك من تنفيس الكربات عن النفس خاصة وهي تعاني من أمور كثيرة، من أعظمها مطاردة الأعداء، وقلة الناصر.

فلما وصل إلى ذلك الشيخ الكبير عرفه بنفسه، وعرض عليه أمره، وقص عليه خبره، فكان من كرم الضيافة، ومواقف الرجال، وحسن الاستقبال، وحماية الضيف والجار، ونصرة الضعيف والمظلوم، والوقوف ضد الباطل وأهله، أن قال ذلك الشيخ الكبير مسرياً عن موسى - ما أخبر الله تعالى عنه بقوله - : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٢٥] .

ما أجمل العبارات المضيئة، بل المشرقة وهي تفرع الأسماع، وتسلي النفوس، وتثبت العقول، فتعيد للنفس هدوءها وسكونها وأمنها، بعد قلقها ورجفتها وخوفها.

وكأن موسى - عليه السلام - يتהלل وجهه بالبشر والضياء، وينطلق لسانه أكثر بالشكر والثناء لله رب العالمين، ويزداد شموخاً وثباتاً في الطريق، وتنقلب الغربة والوحشة ألفةً، والخوف أمناً، والقلق والوجل هدوءاً وسكوناً، والضعف قوةً، والفقر غناً، والتنقل والترحال استقراراً، والحزن فرحة، وشظف العيش رخاء.

إنَّ النفس الأبية لا ترضى أن تعيش على فتات العيش وموائد الآخرين، بل لابد أن تبحث عن وسيلة تكدح من خلالها، وتشعر بالعزة والاستعلاء بعيداً عن المسألة والاستجداء، وهذا ما وقع لموسى - عليه السلام - حيث عاش مع الشيخ

الكبير عيشة عمل وكدح يرمى له الغنم مقابل تزويجه إحدى ابنتيه، واتفقا على مدة العقد اللازم والكامل برضا واختيار.

إن موسى - عليه السلام - عاش فترة زمنية مع الشيخ الكبير والله وحده هو الذي يعلم ماذا حصل له فيها من المواقف والمشاهد، والذي نعلمه نحن البشر من خلال النص القرآني الكريم أنه قضى أتم الأجلين وأكملهما عشر سنوات، حيث كان الاتفاق بينهما على ثمان سنوات، فإن أكملها عشرًا فذلك تفضل منه وكرم وليس بالزام.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [سورة القصص : ٢٧، ٢٨].

ولما قضى موسى أكمل الأجلين وأتمهما ودع مضيفه هو وزوجته ليعود إلى أهله وبلاده التي غادرها منذ زمن، وليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولتبدأ حياة ومرحلة جديدة من حياة موسى - عليه السلام - أعظم مما مرَّ عليه من قبل .

## ١١- الرحلة البرية الثانية لموسى - عليه السلام - : رحلة العودة إلى الوطن

إن من سنن الله تعالى في خلقه حنين الإنسان إلى وطنه، مهما كان في ذلك الوطن من العنت والشقاء، وإن نبي الله موسى - عليه السلام - لما غادر وطنه بغير رضا منه أو اختيار، وغاب عنه سنين عديدة، بسبب جور الظالمين عليه، أعد عدته، وعاد إلى وطنه، بعد ما قضى ذلك الأجل الذي تمَّ بينه وبين ذلك الشيخ الكبير، والذي يقدر بعشر سنوات، ويسدل الستار على تلك السنوات العشر، لا



ندري ماذا تلقى فيها موسى، وماذا عمل فيها، إلا رعيه للغنم فقط، ثم عقد العزم على الرجوع إلى أهله وبلاده، مستصحباً معه في طريقه أهله ومتاعه، ويلقى في تلك الرحلة من المشاهد والمواقف الشيء العظيم، والنص القرآني يشير إلى ذلك بدون تفصيل .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْنَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۚ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَنَبَكَ بُرْهَتَانِ مِنَ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فَسِقِينَ ﴾ [سورة القصص: ٢٩-٣٢].

إن هذا النص القرآني الكريم يحمل في طياته أخبار تلك الرحلة بإيجاز، ويعرض لنا مشاهدتها باختصار، مع التمام في المعنى، وهذا من بلاغة القرآن وفصاحته وعظمته.

لقد عاد موسى - عليه السلام - إلى بلاده برفقة أهله، وبعض متاعه، يبحث الخلو إلى بلاده، عادة كل غائب يعود إلى أهله وأرضه، لكن يفاجأ - عليه السلام - بنداءات ومشاهدات وبراهين، لم يعهدها من قبل في طريقه، مما أثار في نفسه الخوف والوجل والقلق، والحذر، ومن تلك المواقف:

١ - مشاهدته لنار بعيدة عنه، وهو في ليلة مظلمة مطيرة، وتوجهه نحوها قاصداً الاستضاءة بها، والتصلية والتدفئة.

٢- سماعه من شاطئ الوادي الأيمن عند الشجرة النابتة في تلك البقعة - النداء الصادر من الله رب العالمين .

٣- رؤيته لعصاه بعد إلقائها وهي متغيرة عليه في صورتها وخلقتها وحركتها، وخوفه منها.

٤- منظر يده بعد أن أخرجها من جيبه وهي بيضاء نقية من غير سوء.

٥- وجود الاطمئنان والسكون بعد أن يضع يده على قلبه، رحمة من الله تعالى به.

هذه المواقف العظيمة التي شاهدها موسى -عليه السلام- وهو في طريقه إلى أهله وبلاده، ما كانت تخطر بباله، ولا كان يتوقع رؤيتها وسماعها، وبناء على ذلك أصيب بالخوف وعدم الاطمئنان، لكن عناية الله تعالى لعبده وتكريمه له، ترافقه من المهد إلى اللحد.

إن أعظم مشهد وموقف قابله موسى -عليه السلام- في هذه الرحلة البرية هو تكليف الله تعالى له بالرسالة إلى عدوه اللدود "فرعون" الذي هرب منه في أول الأمر، وهجر أهله وأرضه من أجله، وهذا تحقيق لوعده الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد حيث طمأن أمه بأنه سبحانه سيرده إليها، وفوق ذلك سيجعله من المرسلين. كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فِإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٧].

ومن المواقف العظيمة التي لاقاها موسى في طريقه، كون ربه الذي خلقه يناديه، ويتكلم معه بدون واسطة، هذا هو الفضل العظيم، وهذا هو العطاء الجزيل، الذي لا مئة فيه ولا نفاذ، أي تكريم وأي تشريف هذا؟! ترجع به يا موسى إلى أمك وأهلك وأعدائك، بعد رحلتك المضنية، وغربتك المتعبة، فارقت أمك وأهلك

ووطنك، وأنت في حالة يرثى لها من الخوف والمطاردة، والغربة والوحشة، تمكث في غربتك عشر سنين، والشمس تشرق عليك وتغرب، وأنت خلف غنيمات تغدو بها وتروح، والله هو الوحيد الذي يعلم ما يكنه صدرك، وما يلوح في ذهنك، وما تأمرك به نفسك.

إن ما حصل لك في طريقك وأنت في رحلتك الأولى، وفي رعيك للغنم هو نوع من الابتلاء، كما أن ما حصل لك في طريقك وأنت عائد إلى أهلِكَ ووطنك من المواقف والمشاهد العظيمة هو نوع من الابتلاء أيضاً، وإن كان هناك فرق بين الابتلاءين، وتلك الابتلاءات هي سبيل التمكن.

إنّ هذا هو اختيار الله تعالى لك، ونعم الاختيار، ونعم المختار. قال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣]، وهي محبة الله تعالى ترعاك وتكلوك قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَابًا مِّنِّي وَلَتُضْغَع عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [سورة طه: ٣٩]، وهو اصطفاء الله تعالى لك من دون الناس بالرسالة والكلام. قال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَىٰ فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٤].

ما أعظم هذه القدرة التي تحيط بك يا موسى، وما أعظم هذا التكريم الذي فزت به من بين خلق الله، اختيار واصطفاء، ومحبة وكلام، ونصر وتأييد، وعلو وتمكين، كل ذلك يأتي بعد ذلك العناء الذي لاقيته في أول حياتك، ما عقلت منها وما لم تعقل، والأعمال بالخواتيم.

ولقد حرم أهل الابتداع من الإيمان بهذه الصفات الإلهية - المحبة والكلام والرؤية والسماع - كما حرموا الإيمان بغيرها من الصفات - برحمة الله تعالى، وبعزته وحكمته، وعلمه وسمعه وبصره، وقدرته ومشيتته، وإحاطته بكل

شيء، وهيمنتته وجبروته، وعلّوه واستوائه على عرشه، وأنه بائن من خلقه، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير؛ وذلك لفساد المدرسة التي نشأوا عليها، مدرسة الزيف والإلحاد، والتحريف والتأويل والتعطيل والتشبيه والتجسيم والحلول. وصدق الله تعالى القائل ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

إن التكليف الربانية ليست بالشيء اليسير، إنها تكاليف عظيمة وكبيرة وثقيلة، تحتاج إلى رجال أقوياء في حملها، وفي تبليغها إلى الآخرين، وتحتاج إلى صبر ويقين، وتوكل على الله، وهمة عالية، وموسى -عليه السلام- من أولئك الرجال العظماء، فقد صنعه الله تعالى على عينه، وغذاه ورباه ومحصه حتى بلغ أشده، واستوى على سوقه، فكلفه وأرسله، بعد أن أعطاه الله تعالى حكماً وعلماً، فقام بما كلف به خير قيام. قال تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَاسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة القصص: ١٤].

## ١٢- مطالب موسى - عليه السلام - من ربه

ولما علم موسى -عليه السلام- بتكليف الله تعالى له بالرسالة، لم يتردد في حملها، لكنه تذكر شيئاً من ماضيه مع فرعون وقومه، إنه عاش أول حياته في قصر فرعون، ورأى من طغيانه وجبروته الشيء الكثير، ومع ذلك حفظه الله من بأسه وبطشه، وهو في حالة ضعف وغربة، وطلب موسى من الله تعالى مطالب تُحقق له، لكي يستطيع أن يقوم بأداء ما كلف به خير قيام، بعضها معنوي، وبعضها حسي، ومن تلك المطالب ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي

صَدْرِي \* وَبَسْرِي أَمْرِي \* وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَأَجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي ﴿طه: ٢٥-٣٠﴾ . وقال تعالى : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [سورة القصص: ٣٤].

وقد استجاب الله تعالى لعبده موسى ما طلب، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ

سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ [سورة طه: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وََجَعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِمَا يَتَنَبَّأُونَ وَمَنْ أَتَّبَعُكُمَا أَتَّبَعُكُمْ﴾ [سورة القصص: ٣٥].

إن هذه الإجابات من الله تعالى لعبده موسى تحمل في طياتها الرحمة والنصرة والغلبة على العدو، نصرة من الله تعالى لموسى وهارون على عدوهما فلا يصل إليهما، ونصرة من هارون لأخيه موسى - عليهما السلام - تتمثل في شد أزره وعضده، وفي الفصاحة والبيان، وفي الأنس من وحشة الطريق، وكل هذا رحمة من الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٣].

يقول سيد قطب-رحمه الله تعالى:(لقد طلب إلى ربه أن يشرح له صدره.. وانشرح الصدر يحول مشقة التكليف إلى متعة، ويحيل عناءه لذة، ويجعله دافعاً للحياة لا عبثاً يثقل خطى الحياة.

وطلب إلى ربه أن ييسر له أمره. وتيسير الله للعباد هو ضمان النجاح. وإلا فماذا يملك الإنسان بدون هذا التيسير؟ ماذا يملك وقواه محدودة وعلمه قاصر، والطريق طويل وشائك ومجهول؟! وطلب إلى ربه أن يحل عقدة لسانه فيفقهوا قوله.. وقد روي أنه كانت بلسانه حبسة، والأرجح أن هذا هو الذي عناه ،

ويؤيده ما ورد في سورة أخرى من قوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤].

وقد دعا ربه في أول الأمر دعاء شاملاً بشرح الصدر وتيسير الأمر، ثم أخذ يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره وييسر له تمامه. وطلب أن يعينه الله بمعين من أهله ؛ هارون أخيه، فهو يعلم عنه فصاحة اللسان، وثبات الجنان، وهدوء الأعصاب...

لقد أطال موسى سؤله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير والاتصال الكثير، وربّه يسمع له، وهو ضعيف في حضرته، ناداه وناجاه، فها هو ذا الكريم المنان لا يُخجلُ ضيفه، ولا يرد سائله، ولا يبطئ عليه بالإجابة الكاملة: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ [سورة طه: ٣٦].

هكذا مرة واحدة، في كلمة واحدة ؛ فيها إجمال يغني عن التفصيل ، وفيها إنجاز لا وعد ولا تأجيل .. كل ما سأله أعطيته ؛ أعطيته فعلاً ، لا تُعطاه ولا ستعطاه ؟ وفيها مع الإنجاز عطف وتكريم وإيناس بندائه باسمه "يا موسى" وأيّ تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد ؟ <sup>(١)</sup>.

ثم كلفه الله تعالى وأخاه هارون بالذهاب إلى "فرعون" الطاغية، وأمرهما أن يُليّنا له في القول، لعل رحمة الله تعالى تدركه، ويعود عما هو فيه من الظلم والطغيان، ما أحلم الله بعباده ؟ بين لهم عظمتهم سبحانه في مخلوقاته، الدالة على وحدانيته وتفردّه بالأمر والنهي، والخلق والتدبير، وبعث فيهم رسلاً منهم، مبشرين ومنذرين، فخيرهم إليهم نازل، وشرهم إليك صاعد.

لقد سبق في علم الله تعالى الأزلي أن فرعون لا يؤمن، ومع ذلك أمر عبديه

(١) في ظلال القرآن (١/٢٣٣٤).

ونبيهه - موسى وهارون - عليهما السلام - أن يذهبا إليه ويترفقا به في الحوار والنقاش لعله يتذكر أو يخشى، كل ذلك من أجل أن يرسم طريقاً في الدعوة إلى الله تعالى لمن يأتي بعدهم، من إلانة في القول، وترفق بالآخر، والصبر على المعاناة في الطريق من القريب والبعيد، والصديق والعدو، والأخذ بالأسباب، وعدم اليأس أو القنوط، فإن القلوب علمها عند الله تعالى يصرفها ويقلبها كيف يشاء.

ويجب على من يدعو الناس إلى دين الله تعالى أن يحرص على هدايتهم، وإن لم يهتدوا، وأن يبلغهم دين الله تعالى برفق ولين، وأن يلجأ إلى الله تعالى بالذكر والتسبيح والدعاء، وأن يطلب من الله تعالى التوفيق والسداد.

وإن التعاون بين أفراد البشر على تبليغ دين الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور هو أمر مطلوب، سواء كان ذلك وفق نشاط منهجي، أو لا منهجي مادام أن النتيجة واحدة، والغاية واحدة، وإن شد الأزر في الطريق إلى الله تعالى، وتوزع الأدوار، والتعاون على القيام بها، هي من الأسباب التي تجعل العمل ناجحاً، وتجعل النفوس وثابة إلى المعالي كلما حققت شيئاً من أهدافها وغاياتها.

وإن قصة موسى -عليه السلام- وطلبه من ربه سبحانه أن يشد أزره بأخيه هارون - عليه السلام - خير شاهد على ذلك.

١٣ - موقف فرعون وملئه من موسى - عليه السلام - لما جاءهم بآيات الله

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى

وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة القصص: ٣٦].

إن هذا الموقف يختلف عن الموقف الأول تماماً، إذ تحول الحال من الضعف إلى القوة، ومن التخفي إلى الظهور، ومن المطاردة إلى المواجهة، ومن الخوف إلى

الأمن، ومن الوحشة في الطريق إلى الأنس، ومن ضيق الصدر إلى الانشراح، ومن التلعثم إلى الفصاحة، ومن التردد إلى الانطلاقة ...

حمل موسى وهارون إلى "فرعون" المعجزات الباهرات، والدلالات القاهرة، التي لو أُلقيت على الجبال الرواسي لحشعت وخضعت وانقادت، بل لصارت دكاء. لكن القلوب القاسية والمغلقة تنكر الحقائق، وتشكك فيها، بل تقف ضدها بغياً وعدواناً، وعناداً وجحوداً، بل أنكر "فرعون" الصانع كما حكي الله ذلك عنه فقال: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ [سورة طه: ٤٩]. إنها صيغة استفهام إنكاري صادرة من "فرعون".

إن موسى وهارون أول ما بادرا "فرعون" في دعوتهما دعياء إلى الاعتراف بالرب الخالق المالك المدبر لهذا الكون كله، كما قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِيبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ ۖ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَى ۖ ﴾ [طه: ٤٧].

ومن اعترف بالربوبية فقد اعترف بألوهية ذلك الرب إلزاماً، وأنه صاحب الأمر والنهي، والأسماء والصفات الحسنى، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

لقد تلطف موسى وهارون في دعوتهما "فرعون" وذلك بتوجيه من الله تعالى لهما، لأن الهدف من دعوته هدايته، وإخراجه من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي \* أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ



إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿ [سورة طه: ٤١-٤٤].

إن في هذا التوجيه سنة ربانية لمن يقوم بحمل المنهج الرباني ويدعو إليه، وهي أن يتلطف بمن يدعو، ويبين له بالدلائل البينات، والبراهين الساطعات، ما يدعو إليه، لعله يتذكر أو يخشى، فيخرج من الظلمات إلى النور، ومن الرق إلى الحرية، حرية العبودية لله تعالى، وإن الرفق واللين في بيان الحق والوصول إليه، أنفع وأوقع في النفس البشرية.

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، وأن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]". أ.هـ.

إن مواجهة أهل الباطل المتمكنين في الأرض "كفرعون" وغيره، هو أمر صعب على النفس، خاصة وأن الله تعالى بين لهما أنه طغى، لأن الذي لا يستحي ممن خلقه ورزقه، ويده محياه ومماته، فإنه من باب أولى لا يستحي من مخلوق مثله، فقد يبطش به، أو يسفّهه، أو يسجنه، أو يسلط عليه السفهاء، وإن هذه المواقف ما غابت عن "موسى وهارون" -عليهما السلام- فقد حكى الله عنهما ذلك فقال

تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا لَمُخَافُونَ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٥].

لكن من كان الله تعالى معه فلا يخاف ظلماً ولا بخساً، ولقد وجه الله تعالى عبديه الصالحين بعدة توجيهات في مواجهة "فرعون" الطاغية، وأخبرهما أنه -سبحانه- معهما يسمع ويرى، ومن تلك التوجيهات الربانية:

١- السرعة في تنفيذ حجج الله تعالى وبراهينه ومعجزاته . قال الله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ [سورة طه: ٤٢] . وفسر ابن عباس -رضي الله عنهما- ذلك بقوله: لا تُبْطِئَا. وبقوله: لا تضعفا. وأياً كان الشأن فالتوجيه لهما بالصمود أمام فرعون، والمبادرة في بيان دلائل الحق والإعجاز، وعدم الفتور في عرضها وبيانها. والواجب على كل من عرف شيئاً من معالم هذا الدين أن يبادر إلى تنفيذها وإرشاد الناس إليها، وأن لا يصاب بالكسل أو الخور والجبن في تبليغها، مهما قُوبِل به في الطريق من الصعاب والعقبات، فهذه سنة الأنبياء، بتوجيه لهم من الله تعالى .

٢- اللين في القول ؛ لقوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [سورة طه: ٤٤] . إن الرفق في جميع الأمور ما كان في شيء إلا زانه، كما أن الغلظة والشدّة ما كانت في شيء إلا شاتته، وقد جاء هذا التوجيه من الله لموسى وهارون- عليهما السلام- أيضاً لنبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] . وهذه سنة شرعية لمن يحملون المنهج الرباني ويبلغونه عباد الله، لأن الهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتعريفهم بخالقهم، والخضوع والتذلل له.

٣- عدم الخوف في القيام بالرسالة الربانية ، فإن من طبيعة النفس البشرية أن يعترئها شيء من الخوف عندما تقابل أهل الطغيان ، وهذا على درجات متفاوتة، والذين يحملون المنهج الرباني يدركون تبعاته، وما يترتب على تبليغه ونشره، وموسى وهارون- عليهما السلام- وقع لهما شيء من الخوف من طاغية عصرهما

"فرعون"، أن يبطش بهما، ويعتدي عليهما، لأول وهلة يلتقيان معه، لجهله من جانب، ولظلمه وطغيانه وجبروته من جانب آخر، والله ذكر ذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى \* قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥-٤٦].

إن الله تعالى اختار من خلقه من يحمل رسالته، ويقوم بنشرها وتبليغها، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل -عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم- وجاء في وصفهم في كتاب الله العزيز: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٩].

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: يمدح تبارك وتعالى "الذين يبلغون رسالات الله" أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها، "ويخشونه" أي: يخافونه ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله. "وكفى بالله حسيباً" أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً.

وسيد الناس في هذا المقام - وفي كل مقام - محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو - صلوات الله وسلامه عليه - فإنه بُعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلا نيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهمجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم .

ما أجمل سيرة السلف الصالح من الأنبياء والرسل! ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم، وكيف يخشى أو يخاف من كان الله تعالى معه بالنصر والتأييد؟! أنقذ نوحاً وموسى ويونس من الغرق، وإبراهيم من النار، وعيسى ومحمد من القتل، وأهلك من عاداهم ولم يستجب لدعوتهم، وأخذ كلاً بذنبه، وصدق الله القائل:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤].

#### ١٤ - العاقبة الوخيمة لفرعون وملئه

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لكل مخلوق من خلقه بداية ونهاية، ولا يبقى إلا وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] وقال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۖ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْحَيْرِ فَتْنَةً ۖ وَلَئِنَّا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

ولقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه أحوال كثير من خلقه، أفراد ومجموعات، من الذين طغوا وتجبروا وتكبروا في الأرض بغير الحق، بل بغياً وعدواناً، كما جاء في وصف فرعون وجنوده، في قوله تعالى: ﴿ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغْيًا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاَمْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ، بَنُوتِ إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] .

وبين لنا - سبحانه - كيف أخذهم، وأنه - سبحانه - أخذ كلاً بذنبه، فقال بعد أن ذكر الله تعالى نوحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعياً، وهوداً، وصالحاً، وموسى - عليهم السلام - وقومهم. ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقد وعد الله تعالى عباده الصالحين بالنصر والفوز المبين، والغلبة والتمكين، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

ولقد بذل رسول الله موسى - عليه السلام - جهداً عظيماً في دعوة فرعون وملئه، لكنهم أعرضوا عنه وتكبروا له، بل ضاقوا ذرعاً به وبدعوته، ووقفوا ضده، يحاورونه، ويجادلونه، ويناقشونه، ويسفهون ما يدعو إليه، ومع ذلك ثبت نبي الله موسى - عليه السلام - على دينه ثبات الجبال الرواسي، ولم يقصر في تبليغ ما كلف به من ربه، وترفق بفرعون وملئه في دعوته، وصبر على ما لاقى منهم من المتاعب والمطاردة والمشاق والأذى، فقد وقفوا ضده مواقف مخزية، ومن تلك المواقف السيئة:

١- التكذيب بآيات الله تعالى، والاستكبار عنها: قال تعالى: ﴿كَذَّابٌ إِيلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥].

٢- وصمهم لموسى - عليه السلام - بأنه ساحر ومسحور، وأن ما جاء به

سحر: قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَجَنَ

وَقَرُوتَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ

يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١]. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ

هَذَا لِسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [يونس: ٧٦].

٣- اقموا موسى وقومه بالفساد في الأرض: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ أَلْمَلَأُ مِنْ

قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَذَرِكْ ؕ وَالْهَتَكَ ؕ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ

وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

٤- قتلهم لأبناء بني إسرائيل، واستحياء نساءهم: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ

مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْخِلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ؕ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن

رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٦].

٥- الإنكار لربوبية ربِّ الأرباب: قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣].

٦- العزم على قتل موسى والتخلص منه: قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ

فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

[ القصص: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ؕ إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿ غافر: ٢٦ ﴾ . وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] .

٧- ادعاء فرعون الربوبية: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلًا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَسُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨] .

٨- ادعاؤه الكمال في الرأي والدلالة: قال تعالى: ﴿ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] .

إلى غير ذلك من المواقف المشينة من فرعون وقومه، في حق الله تعالى وأنبيائه ورسله.

وقد أخذ الله تعالى فرعون وقومه أخذ عزيز مقتدر، و بين الله لنا في كتابه ، أنه طغى ، فأخذه الله تعالى بالغرق ليكون عبرة لمن خلفه ، فقال تعالى :

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: ٢٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَخْجَيْتَكُمُ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَوَتْ ﴾ [طه: ٧٨] .

قال تعالى: ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾

بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ<sup>٤</sup> وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿ [الأنفال: ٥٤] .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا<sup>٥</sup> فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] .

وقال تعالى: ﴿ كَذَّابٌ آءَالِ فِرْعَوْنَ<sup>٦</sup> وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ<sup>٧</sup> إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٥٢] .

ومن العقابة السيئة لفرعون وجنوده، أنهم يعرضون على النار غدواً وعشيا، ويوم القيامة يذوقون أشد العذاب. قال تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا<sup>٨</sup> وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

ولم يقع ما حل بهم إلا بعد ما أنذروا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴾ [القمر: ٤١] .

## ١٥- الدروس والعبر المستفادة من نبأ موسى وفرعون

سنقتصر هنا على إبراز بعض الدروس والعبر المستفادة من نبأ موسى وفرعون التي لم يتم إبرازها في أثناء الفصول السابقة :

١- إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى، ما دامت السماوات والأرض، لا يزول هذا الصراع إلا بزوال هذا الكون. وما وقع بين موسى-عليه السلام- وفرعون وملئه من هذا الباب.

٢- إن الله تعالى أخبر أن التمكين في الأرض سيكون لموسى ومن اتبعه،



وأن الدائرة السيئة ستكون على فرعون وملئه. قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

[ القصص: ٥-٦ ]، وقد ظلم فرعون وقومه نبي الله موسى وقومه ، وقضى الله أن ينتصر المظلوم ولو بعد حين ...

٣- إنَّ بعض خلق الله كتب عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة، فيشقى به من كان تحت ولايته، أو حوله، ومن أولئك "فرعون المشبور" ذلك الرجل الطاغية، الذي ادعى الربوبية...

٤- إنَّ من أعظم فساد فرعون ادعاؤه الربوبية والألوهية، ثم ذبحه لأبناء بني إسرائيل خوفاً على ملكه ونفسه منهم ، ولو استسلم لله تعالى واستجاب لسعد في الدارين، ولكن لله تعالى الحكمة البالغة...

٥- إن الرجل المصلح في هذه الحياة لا بد أن يجد معاناة ومصاعب في طريق دعوته الإصلاحية .. وإن عليه أن يتوكل على الله حق التوكل ويشق بنصره...

٦- إنَّ النفس الأبيّة لا ترضى أن تعيش على فتات العيش وموائد الآخرين، بل لابد أن تبحث عن وسيلة تكدح من خلالها، وتشعر بالعزة والاستعلاء بعيداً عن المسألة والاستجداء، وهذا ما وقع لموسى - عليه السلام- حيث عاش مع الشيخ الكبير عيشة عمل وكدح يرمى له الغنم مقابل تزويجه إحدى ابنتيه، واتفقا على مدة العقد اللازم والكامل برضا واختيار.

٧- إن الوفاء بالعقود والالتزام بها واجب، فلا يجوز الإحلال بها، أو نقضها، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [ المائدة : ١ ] وني الله

موسى -عليه السلام- وفّى بما التزم به مع ذلك الشيخ الصالح، بل أدى أكمل الأجلين.

٨- إن من سنن الله تعالى في خلقه حنين الإنسان إلى وطنه، مهما كان في ذلك الوطن من العنت والشقاء، وإن نبي الله موسى -عليه السلام- لما غادر وطنه بغير رضا منه أو اختيار، وغاب عنه سنين عديدة، بسبب جور الظالمين عليه، أعد عدته، وعاد إلى وطنه، بعد ما قضى ذلك الأجل الذي تمّ بينه وبين ذلك الشيخ الكبير، والذي يقدر بعشر سنوات. فعلى كل مغترب أن يفكر في العودة إلى أهله وبلاده، لكي يقوم بما يستطيع من الإصلاح، بين أهله وذويه، إقتداءً بنبي الله موسى -عليه السلام-.

٩- إن التكاليف الربانية ليست بالشيء اليسير، إنها تكاليف عظيمة وكبيرة وثقيلة، تحتاج إلى رجال أقوياء في حملها، وفي تبليغها إلى الآخرين، وتحتاج إلى صبر ويقين، وتوكل على الله، وهمة عالية، وموسى -عليه السلام- من أولئك الرجال العظماء، فقد صنعه الله تعالى على عينه، وغذاه ورباه ومحصّنه حتى بلغ أشده، واستوى على سوقه، فكلّفه وأرسله، بعد أن أعطاه الله تعالى الحكم والعلم، فقام بما كلّف به خير قيام.

١٠- يجب على من يدعو الناس إلى دين الله تعالى أن يحرص على هدايتهم، وإن لم يهتدوا، وأن يبلغهم دين الله تعالى برفق ولين، كما مرّ في قصة موسى وهارون مع فرعون، وأن يلجأ إلى الله تعالى بالذكر والتسبيح والدعاء، وأن يطلب من الله تعالى التوفيق والسداد.

١١- إن الله تعالى اختار من خلقه من يحمل رسالته، ويقوم بنشرها وتبليغها، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل -عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم-

وجاء في وصفهم في كتاب الله العزيز: ﴿الَّذِينَ يُبْلَغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَخَشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٩].

١٢- إن الله تعالى ليمهل للظالم ولا يهمله ، ثم يأخذه بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ، وهذا ما حصل لفرعون وغيره من الأمم الظالمة ، وقد أخبرنا ربنا سبحانه بذلك في كتابه ، ولا يظلم ربك أحداً ، فقال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

١٣- إن الحق ينتصر بجهود الضعفاء ولا تقتصر نصرته على جهود الأقوياء ، فلا يحقرن الإنسان أيّ جهد يقوم به في نصرة الحق ، فإن مؤمن آل فرعون ، وأخت موسى ، وأمه ، وآسية ، كانوا ضعفاء ، ومع ذلك قاموا بأعمال عظيمة في نصرة الحق .

١٤- إن الله تعالى وعد عباده الصالحين بالنصر والفوز المبين ، والغلبة والتمكين ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧١-١٧٣]. فلا يتعجل الصالحون ما وعدوا ، أو تمل نفوسهم ، ولا يستوحشوا من قلة الناصرين ، أو السالكين ، فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بدءوا طريقهم فرادى ، فما وهنوا لما أصابهم ، وما ضعفوا وما استكانوا ، ولنا فيهم قدوة وأسوة ، والله ولي الصالحين .

كتبه وحرره الراحي عفو ربه

د/ أحمد بن عبد الله العماري الزهراني

غفر الله له ولوالديه ، ولسائر المسلمين . آمين .

***Quranic meditations: From the story of***  
***Moses and Pharaoh***  
***Dr. Ahmad Al-Zahrani***

This article tells the story of prophet Moses (peace be upon him) with the enemy of Allah Pharaoh as it was told to us by Allah Almighty in Surat Al-Qasas, from the birth day of Moses in Egypt then his cast into the river and his arrival to Pharaoh house until he became adult. The article also shows what had happened to him after killing one of his enemies. This made him leave the city, and went towards Madyan where he married a daughter of an old good man. Then he was called by Allah to his mission and his returning to Egypt and his call Pharaoh to believe in Allah, but he didn't. The end came by running after Moses where Pharaoh and his hosts were flung into the sea.

The researcher conclude this article by eliciting the lessons which are concluded in the story of Moses and Pharaoh.